فصول
مجلة النقد الأدبي

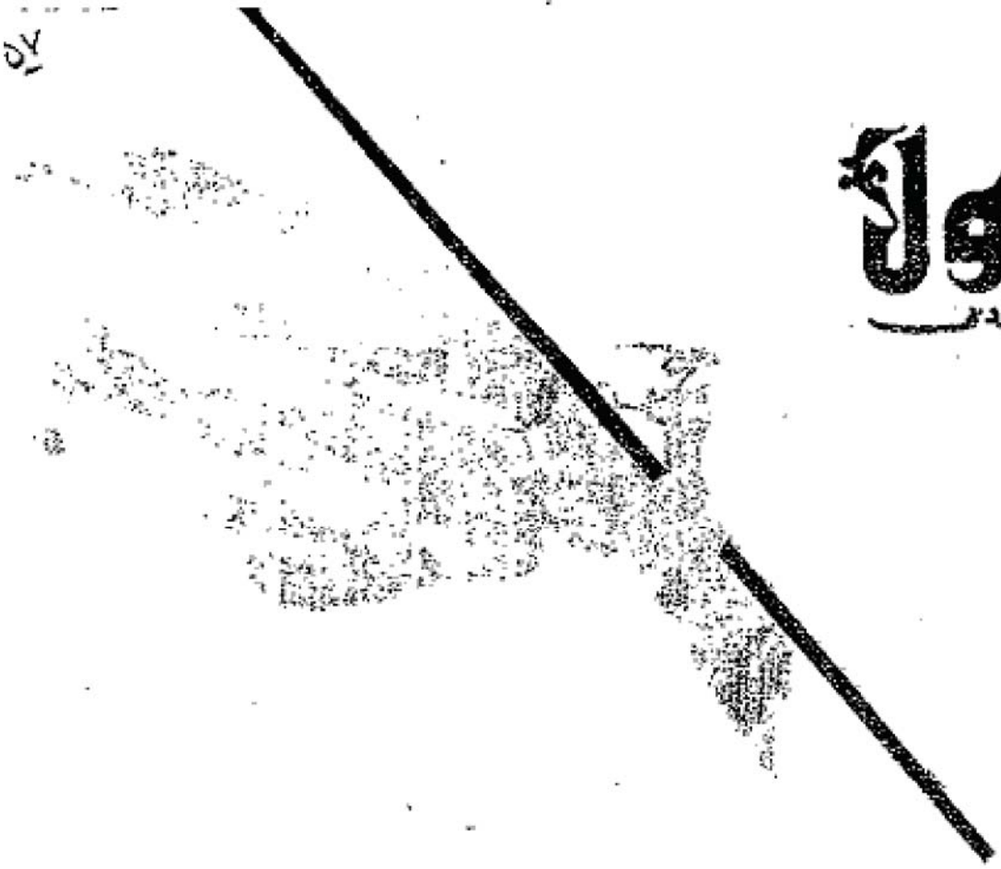

أبو حيان التوحيدي

الجزء الثالث

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

المجلد الخامس عشر
العدد الأول
ربيع ١٩٩٦

- مفهوم الإنسان
- أفق العقل
- موسيقى الخط
- التفكير النقدى
- الفكر اللغوى
- كتابة المغامرة
- أخى الذى لم أره
- محنة المثقف

فصول
مجلة النقد الأدبي
مجلة علمية محكمة

٤١١٨٥
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

أبو حيان التوحيدي

الجزء الثالث

تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

فصول

مجلة النقد الأدبي

رئيس مجلس الإدارة: سمير سرحان

رئيس التحرير: جابر عصفور

نائب رئيس التحرير: هدى وصفي

الإخراج الفني: سعيد المصري

محمود القاضي

مدير التحرير: حسين حمودة

التحرير: حازم شحاته

فاطمة قنديل

سكرتارية: أمال صلاح

صالح راشد

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

● الأسعار في البلاد العربية:

الكويت ١٫٧٥٠ دينار ـ السعودية ٣٠ ريال ـ سوريا ١٣٣ ليرة ـ المغرب ٥٥ درهم ـ سلطنة عمان ٣ ريال ـ العراق ٢ دينار ـ لبنان ٥٠٠٠ ليرة ـ البحرين ٣ دينار ـ الجمهورية اليمنية ١٠٠ ريال ـ الأردن ٢٫٥ دينار ـ قطر ٣٠ ريال ـ غزة/ القدس ٢٫٥٠ دولار ـ تونس ٥ دينار ـ الإمارات ٢٧ درهم ـ السودان ٦٧ جنيها ـ الجزائر ٢٤ دينار ـ ليبيا ١٫٧ دينار – دبي/ أبو ظبي ٣٠ درهم.

● الاشتراكات من الداخل :

عن سنة (أربعة أعداد) ١٢٠٠ قرشا + مصاريف البريد ٢٨٠ قرشاً، ترسل الاشتراكات بحوالة بريدية حكومية.

● الاشتراكات من الخارج :

عن سنة (أربعة أعداد) ١٥ دولاراً للأفراد ـ ٢٤ دولارا للهيئات. مضاف إليها مصاريف البريد (البلاد العربية ـ ما يعادل ٦ دولارات) (أمريكا وأوروبا ـ ١٦ دولارا).

السعر: ثلاثة جنيهات

● ترسل الاشتراكات على العنوان التالي :

مجلة «فصول» الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ شارع كورنيش النيل ـ بولاق ـ القاهرة ج . م . ع.

● الإعلانات : يتفق عليها مع إدارة المجلة أو مندوبيها المعتمدين.

أبو حيان التوحيدي

الجزء الثالث

المجلد الخامس عشر
العدد الأول
ربيع ١٩٩٦

• فى هذا العدد

• مفتتح — رئيس التحرير ٥
• كلمات ١١
- فاروق حسنى
- شوقى ضيف
- إحسان عباس
- ميجيل هيرناندث

• دراسات ٢٣
- مفهوم الإنسان عند أبى حيان — عاطف العراقى ٢٥
- أبو حيان والبحث عن السعادة — زينب الخضيرى ٣٦
- أبو حيان والفلسفة — عمار الطالبى ٥٢
- أفق العقل لدى التوحيدى — صلاح قنصوه ٧٤
- تعليقات على كتاب الإشارات الإلهية — جعفر الكنسوسى ٨٤
- هل كان التوحيدى صوفيا — يوسف زيدان ٩٤
- الاهتمام بالجمال عند التوحيدى — نور الدين أفاية ١١٥
- الموسيقى والغناء فى كتابات أبى حيان — محمد زغلول سلام ١٢٤
- موسيقى الخط العربى عند التوحيدى — محمد بغدادى ١٣٣
- التفكير النقدى فى كتاب المقابسات — عبدالقادر الرباعى ١٤٥

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

- المبحث النقدى والبلاغى فى الإمتاع — يوسف أبو العدوس — ١٦٣
- الفكر اللغوى فى إطار لقاء الثقافات — محمود فهمى حجازى — ١٨٧
- الرؤية اللغوية عند أبى حيان — نصر الدين صالح سيد — ٢٠٥
- النصوص المنسوبة إلى السيرافى — هاشم محمد سويفى — ٢٢٢
- التوحيدى مترجما للرجال — هانى العمد — ٢٤٣
- مخطوطات التوحيدى فى تركيا — أحمد بولوط — ٢٨٣
- التوحيدى بين الألمان — هارتموت بوبتين — ٢٨٨

● شهادات — ٢٩١

أحمد عبد المعطى حجازى ـ إدوار الخراط ـ جمال الغيطانى ـ خيرى شلبى ـ واسينى الأعرج ـ عبد اللطيف عبدالحليم (قصيدة).

● ندوة — ٣٢٩

- ديوان ابن قزمان

أبو حيان التوحيدى

الجزء الثالث

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الرؤية اللغوية
عند أبى حيان التوحيدى

نصر الدين صالح سيد*

تمهيد

يعرض هذا البحث للمنهج اللغوى عند أبى حيان من خلال النصوص التى تتعلق بمجالات البحث اللغوى. ويهدف إلى تعرف مفهوم التوحيدى عن اللغة ومجالاتها من خلال دراسة مجموع النصوص التى ينتقيها؛ حيث إنها تعكس اقتناعه بها من ناحية، وإعجابه بها من ناحية أخرى، وهذه النصوص يمكن أن تكون علامات فكرية تقودنا إلى رؤية التوحيدى المنهجية. ومن الملاحظ أن أبا حيان لا يكتفى بإيراد النصوص كما هى عند أصحابها، بل إنه يتدخل بالزيادة أو الحذف وفق رؤيته اللغوية الخاصة، ويعترف فى أكثر من موضع من كتبه بأنه يستنفد الطاقة فى تنقية النصوص التى يختارها، ويتوخى الحق فيها، وقد اتبع التوحيدى المنهج نفسه حين نقل نصوصاً لم ينسبها إلى غيره من العلماء[1].

كما يعرض البحث للنصوص التى تسجل مسائل صرفية ونحوية، أو تلك التى تحمل فى طياتها رسائل لغوية تعكس جهد أبى حيان التطبيقى. ومن الملاحظ أن أغلب الدراسات التى تناولت تراث أبى حيان تلقبه بالنحوى واللغوى[2]، على الرغم من عدم وجود مؤلف خاص به يجمع بين دفتيه هذا الجانب أو ذاك، دون غيره من معارف. ولم تعن هذه الدراسات ببيان رؤية أبى حيان اللغوية أو منهجيه النظرى والتطبيقى، بل اكتفت بعرض بعض المسائل والآراء المتفرقة فى كتب التوحيدى، مع ذكر أساتذته وبيان تأثره ببعضهم، من مثل السيرافى والرمانى وغيرهما.

ويتناول البحث مفهوم اللغة عند أبى حيان فى ضوء علم اللغة القديم والحديث، ومفهوم المعنى، مع بيان العلاقة بين الألفاظ والمعانى وإبراز وعى أبى حيان ومن نقل عنهم بأهمية السياق بشقيه اللغوى وغير اللغوى.

* كلية الآداب، فرع الخرطوم، جامعة القاهرة.

ويعرض البحث أيضًا لمفهوم النحو، والعلاقة بين النحو والإعراب، ووظيفة كل منهما وتقسيماتهما، كما يعرض للمسائل النحوية التى أوردها أبوحيان، ويبرز البحث طبيعة العلاقة بين النحو والمنطق ويعرض لرؤية أبى حيان وتأثره بشيوخه فى هذا المجال.

ويدرس البحث أيضًا المسائل اللغوية التى تعكس رؤية أبى حيان التطبيقية، وتتناول تلك المسائل والمفردات وعلاقاتها من حيث العلاقة الصرفية، أو العلاقات الدلالية، كما يعرض البحث فى هذا المجال للنصوص اللغوية التى تعد رسائل لغوية تبرز جهد أبى حيان المعجمى، ويوضح البحث ـ أخيرا ـ منهج أبى حيان فى عرضها، وبصنفها وفق مادتها اللغوية، كما يتناول ما ورد من نصوص تندرج تحت العلاقات السياقية.

٢ ـ طبيعة اللغة ووظيفتها

يعرف أبوحيان اللغة[٣]، من خلال مناقشته لحد الكلام[٤]، بأنها المؤلف من «صوت وحرف ومعان»[٥]، ونجد أن هذا التعريف يجمع بين عناصر أساسية للغة، وهى الطبيعة الصوتية، والطبيعة الرمزية، والطبيعة الاصطلاحية.

ويعكس هذا التعريف وعى أبى حيان بأن اللغة نظام صوتى فى الأساس، يعتمد على الأصوات المفردة التى يتآلف بعضها مع بعض، وفق نسق خاص بها، لتكون رموزاً مفهومة هى الحروف والكلمات. فالأصوات المفردة لا معنى لها، ولكننا نركب من الأصوات المركبة التى تستخدمها جماعة لغوية معينة حروفا وكلمات اصطلحت تلك الجماعة على دلالتها[٦].

ولقد تنبه التوحيدى إلى أن المهم فى طبيعة اللغة. وخصوصيتها ليست الأصوات فى حد ذاتها بل فى دلالتها ومعانيها التى تصطلح عليها هذه الجماعة أو تلك. ومن ثم، فإن ذكر أبى حيان «للمعانى» يبين إدراكه ضرورة الاتفاق على ترجمة هذه الرموز فى العقل إلى دلالات معينة:

«ولذا فاللغة الإنسانية تختلف عن نظم الاتصال الأخرى الموجودة عند الإنسان، والموجودة عند الحيوان فى أن اللغة الإنسانية نظام مركب معقد من الرموز»[٧].

ويقترب تعريف أبى حيان من تعريف ابن جنّى للغة الذى يوضح أن حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[٨]، وهو تعريف يتضمن العناصر الأساسية للغة.

ويكشف أبوحيان بعد ذلك عن إدراكه الحقائق العلمية التى توضح نشأة الصوت الإنسانى، ومصدره. كما يكشف عن معرفته التشريحية حيث يعى أن الصوت إنما يتكون من عمود الهواء المندفع من الرئتين، ثم اعتراض سيره فى نقطة معينة فى جهاز النطق:

«فالإنسان يقوم بجذب الهواء بالحركة الطبيعية، وحصره فى قصبة الرئة، ودفعه ومصاكته بالحركة الإرادية للهواء الخارج بحروف تجذبها آلة اللهوات»[٩].

ويتفق ذلك مع الدراسات العلمية والفسيولوجية الحديثة التى تفسر نشأة الأصوات، وشروط تكونها عند الإنسان؛ فالصوت يتكون من هواء الزفير، ولذا لابد من أن يوجد تيار الهواء خارجًا من الرئتين، عبر القصبة الهوائية، لكى يتم النطق، وعندما يمضى تيار الهواء خلال أعضاء النطق تحدث عدة عمليات تؤدى إلى تمييز صوت عن آخر[١٠].

ويتوقف أبوحيان إزاء المعانى ويربطها بالعلاقة الكامنة عند الجماعة اللغوية التى اصطلحت عليها حتى صارت منطقًا يتحكم فى تحديد المعنى، وبصنع الانفاق والاتساق إذ يقول:

«وهذه ـ أى الأصوات ـ مركبة دالة بحروف اتفاق واتساق مع معانى فكر النفس بالمنطقية»[١١].

وتشير تلك المقولة إلى وعى التوحيدى بوظيفة التمايز السيمانطيقى للأصوات، وهى خاصية الأصوات المؤثرة فى تغيير المعنى[١٢]. كما تشى هذه المقولة أيضًا بوعيه بأهمية «الفونيم» الذى يشكل أساس اللغة؛ أى الكلمات ومعانيها[١٣].

ولا يغفل أبوحيان عن صفة أثارها علماء اللغة فى العصر الحديث، وهى مقدرة:

«لغة البشر على الخلق أو الابتكار. والمقصود بهذه الصفة بإيجاز شديد هو أنه بمقدور الإنسان لا أن يركب من الأصوات المفردة مئات الألوف من المفردات فحسب، بل أن يركب من مفردات اللغة المختلفة عدداً لا يحصى من الجمل وأشباهها... وذلك حسب الموقف والظروف التى تتطلب الكلام»[١٤].

ويتضح تنبه التوحيدى لهذه الصفة فيما ذكره عن اتساق معانى فكر النفس المنطقية بقدر الهواجس، والخواطر السانحة، والصواب المؤيد من العقل والأثر الحاصل من القلب[١٥].

ويرى أبوحيان ـ نقلا عن أستاذه السيرافى ـ أن وظيفة اللغة هى توصيل الأغراض المعقولة، والتعبير عن المعانى المدركة، ومن ثم يعجز المرء عن الوصول إليها إلا باستخدام اللغة[١٦]، واللغة أيضاً وسيلة يتفاوض الناس بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصاريفها[١٧]. فاللغة ما هى إلا «وسائط بين الناطق والسامع»[١٨].

مفهوم المعنى

لم يفرد أبوحيان بحثاً مستقلاً يعالج المعنى اللغوى، وجل ما فعله أن تعرض له تعرضا متنوعاً فى مناقشات وحوارات متناثرة فيما أورده من نصوص ومناظرات، كما حدث فى تلك النقول التى كان يعرج فيها، من آن إلى آخر، على المعنى اللغوى فى معرض مناقشات تدور حول النحو والإعراب، أو مناقشات تتناول قضايا فلسفية تدورحول علة وقع الألفاظ فى السمع والمعانى فى النفس، أو حول إنشاء الكلام الجديد أيسر على الأدباء من ترقيع القديم[١٩].

يعرف أبوحيان المعنى ـ نقلاً عن شيوخه النحويين ـ بأنه الهاجس فى النفس متصل بالخاطر، واللفظ ترجمة له «وكلّ ما صحّ معناه صحّ اللفظ به، وما بطل معناه بطل اللفظ به»[٢٠].

وتتفق تلك الرؤية مع التفكير الذى سيطر على القدماء؛ حيث ربطوا بين **الألفاظ ومدلولاتها ربطا وثيقًا**، وجعلوها سببًا طبيعيًا للفهم والإدراك، فلا تؤدى الدلالة إلا به، ولا تخطر الصورة فى الذهن إلا حين النطق بلفظ معين، لذا أطلقوا على تلك الصلة بين اللفظ ومدلوله الصلة الطبيعية أو الصلة الذاتية[٢١].

ويبدو أن علماء العرب قد أخذوا هذا النوع من التفكير عن اليونان[٢٢]. وتكشف المناظرة التى دارت بين أبى سعيد السيرافى وأبى بشر متى بن يونس وجود ترجمات فلسفية ومنطقية عن اللغة اليونانية.

ويوضح التوحيدى أن فهم المعنى يتم عندما يتفق الكلام المسموع مع المعانى المستقرة المفهومة عند مستخدم اللغة، أو كما يقول التوحيدى اتساق:

«دلالة ما سمع مع ما كان قاراً فى الصدر منسوخًا عند العقل»[٢٣].

ويكشف ما نقله التوحيدى عن المنطقى والفيلسوف أبى بكر القومسى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست علاقة مباشرة؛ حيث إن اللفظ يمثل الحس، والمعنى يمثل جواهر النفس، والائتلاف بينهما يتحقق بشهادة العقل[٢٤]، لذا يمكن تخيل العلاقة وفق الشكل التالى:

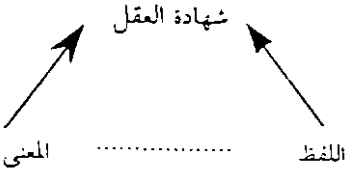

ويتفق ذلك الفهم مع علم اللغة الحديث؛ فالعالمان أوجدن وريتشاردز يريان أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة مثلثية:

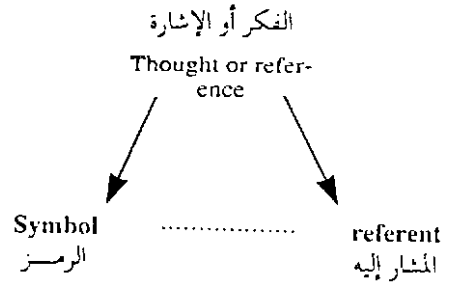

بمعنى أن العلاقة بين اللفظ والمعنى ليست علاقة مباشرة؛ حيث إن الصلة تتم عن طريق الفكر أو التصورات العقلية [٢٥].

وتبرز هذه النقول التى أوردها أبوحيان فهم أصحابها ضرورة دراسة السياق بشقيه اللغوى وغير اللغوى، ولا يخلو نص يعالج قضايا الصرف والنحو والإعراب من الإشارة إلى وظيفتها فى الكشف عن المعنى[٢٦]. فهذه الجوانب مع غيرها من الجوانب الصوتية والسياقية تمثل الشق اللغوى من السياق.

أما السياق غير اللغوى ـ وفق هذه النقول ـ فقد تمثل فى الظواهر شبه اللغوية التالية:

أ ـ الملابسة. وهى تقابل مفهوم الموقف فى الدراسات اللغوية الحديثة.

ب ـ الإنسان بمزاجه الصحيح.

جـ ـ مراعاة عادة أهل اللغة. وهذه تقابل مفهوم السياق الثقافى فى الدراسات الحديثة.

د ـ توخى الزمان والمكان[٢٧].

وهذا التقسيم يتفق مع الدرس اللغوى الحديث الذى يرى ضرورة الانتباه إلى الظواهر شبه اللغوية والسياقات المصاحبة للكلام، من مثل:

ـ البعد الفيزيقى بين المتكلم والسامع.

ـ الحالة المزاجية.

ـ تعبيرات الوجه.

ـ الإيماءات[٢٨].

ـ السياق الثقافى وسياق الموقف[٢٩].

وغيرها من ظواهر وسياقات.

٣ ـ مفهوم النحو

يتناول مفهوم النحو عند التوحيدى ـ سواء فى النصوص التى ينسبها إلى نفسه أو ينسبها إلى غيره ـ كل ما يتعلق باللغة من جوانبها الصرفية والنحوية؛ فالنحو عنده هو ما يقى من الخطأ واللحن، ويحقق السلامة:

«بشروطه فى أسماء العرب وأفعالها وحروفها وموضوعاتها ومستعملاتها ومهملاتها»[٣٠].

والنحو عنده سجية وسليقة تحقق للمرء سلامة اللغة كما ينطقها العرب، ويتضمن تعريف النحو ـ لدى أبى حيان ـ قضية الإعراب، لذا فإن:

«من يتكلم بالإعراب والصحة، ولا يلحن ولا يخطئ، يجرى على السليقة الحميدة والضريبة السليمة قليل أو عزيز، وإن الحاجة شديدة لمن عدم هذه السجية وهذا المنشأ إلى أن يتعلم النحو ويقف على أحكامه، ويجرى على منهاجه»[٣١].

ويرفض أبوحيان قبول الزعم بأن من يعبر عن نفسه بلفظ ملحون يفهم غيره؛ حيث إن الكلام يتغير المراد فيه باختلاف الإعراب[٣٢].

ويضرب مثالاً يوضح ذلك؛ فيذكر أن رجلاً سأل أعرابيًا: كيف أهلك؟ بكسر اللام، فلم يفهم الأعرابى السؤال، فأجابه صلياً حيث ظن:

«أنه سأله عن هلكته كيف تكون، وإنما سأله عن أهله... وهذا وأشباهه يدلك على معرفة العرب بالمعانى التى اختلف بها الإعراب»[٣٣].

ويوضح أبوحيان فى تعريفه للنحو وعلاقته بالإعراب أن النحو: «كالحلية وأن التمييز بين الجسم والجسم إنما يقع بالحلى القائمة، والأعراض الحالة فيه، وأن حاجته إلى حركة الكلمة بأخذه وجوه الإعراب حتى يتميز الخطأ من الصواب»[٣٤].

وتظهر ـ هنا ـ رؤية أبى حيان إزاء تنوع التراكيب واختلاف بناء الجمل؛ حيث ترجع هذه الرؤية التنوع والاختلاف إلى النحو. ويقصد التوحيدى بالحلية العلامات المميزة والسمات الفارقة لكل كلام دون غيره، على الرغم من أنه ينتمى إلى لغة واحدة. ويشى هذا الفهم بإدراك واع

لأثر الإعراب ولأثر النحو في تنوع المستويات التركيبية للغة؛ إذ إن علامات الإعراب عنصر جوهري لتمايز عناصر التركيب وبيان ترتيبها، ووظيفتها في أداء المعنى، ومن ثم تكوين تراكيب صحيحة وفق رؤية المتكلم وقواعد اللغة. ويقدم التوحيدي مفهوما تقليدياً للإعراب، ويعرفه بأنه «حركة آخر الكلمة»[٣٥].

ويرى أبوحيان أن فائدة النحو وغرضه:

«معرفة المعاني وتجلية ملتبسها، والتوغل في دقائق معاني الله عزّ وجل، وكلام المبعوث بالحق إلى الخلق صلى الله عليه وسلم»[٣٦].

فالنحو عنده لا يحقق الصحة والسلامة في اللغة وحدها، بل يحقق الإيمان في النفس، والخطأ فيه يوقع في الكفر، حيث يقول: «وإنا نعلم فرقًا متى لم تقف عليه زلّ إلى الكفر، وذلك في قوله «إن الله بريءٌ من المشركين ورسوله» فرق يتوسط بين الصواب والخطأ، صوابه إيمان، وخطؤه كفر» [٣٧]. وللنحو والإعراب وظيفة أخرى في مفهومه، وهي الوظيفة الاجتماعية؛ حيث تتيح هذه الوظيفة للمرء توجيه الموقف حسبما يريد، وتساعده على التخلص من المآزق التي يواجهها في مواقف اجتماعية معينة، كالتحايل على القسم بالتورية، أو رفع الضيم، ودفع الهلاك، ولن يتحقق ذلك:

«إلا بتمييز وجوه حركات اللفظ، فبان لك أن الحالف بالتورية يمينه: والله ما رأيته وهو يريد ما ضربت. رئته. ووالله ما قلبته وهو يريد ما ضربت قلبه. ليدفع عن نفسه ضيمًا به بما يفهم من الرئة والقلب الذي هو العكس، إنما يبرأ من الحنث، ويتخلص من الضيم لقيامه بحفظ اللغة»[٣٨].

ومن تلك الأمثلة التي رواها التوحيدي للتدليل على صدق تحقق هذه الوظيفة الاجتماعية، ما رواه عن الأصمعي من أن عبدالملك بن مروان قد أخذ رجلاً كان يرى رأي الخوارج ـ رأي شبيب ـ فقال له: ألست القائل:

ومنا سويد والبطين وقعنب

ومنا أمير المؤمنين شبيبُ

فقال الرجل:

إنما قلت: ومنا أمير ـ المؤمنين شبيب (بالنصب) أي يا أميرَ المؤمنين؛ فخلى سبيله.

ويعلق التوحيدي على ذلك بقوله:

«أما ترى تيقظه ونقله الكلام بالإعراب عن سبيل هلكته إلى سبيل نجاته»[٣٩].

وتتفق نظرة التوحيدي للنحو والإعراب مع نظرة أستاذه السيرافي الذي يرى أن النحو يشمل كل جوانب اللغة الصرفية والنحوية. فالنحو عند السيرافي منقسم:

«بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك»[٤٠].

ويعرف السيرافي الإعراب بقوله:

«الإعراب حركة تحل بآخر حرف من الاسم»[٤١].

وتابع أبوحيان ـ في تقسيمه أبواب النحو ـ أساتذته وما شاع في كتب النحاة من قبل، فهو يعرف الاسم، والفعل، والحرف، ويذكر تقسيمات الأفعال والأسماء كما وردت عندهم ومن الأمثلة الدالة على ذلك تعريفه للاسم بأنه ما وقع على معنى غير مقرون بزمان محصل، ويعرف بدخول الجر عليه، ويصلح فيه ضربي ونفعني، ويدخل عليه أيضا الألف واللام على واحده وتثنيته»[٤٢].

ويقسم الفعل على خمسة أقسام، كما سمعها من أرباب النحو؛ فمنها فعل لا يتعدى البتة مثل قام، وفعل يتعدى إلى واحد مثل ضرب زيد عمراً، وفعل يتعدى إلى مفعولين يقع المعنى عن أحدهما مثل كسوت زيداً ثوباً، وحرمت زيداً عطاءه، وفعل يتعدى إلى مفعولين لا يستغنى

عنهما مثل ظننت زيداً قائماً... وفعل يتعدى إلى ثلاثة لا غنى عنهم مثل: أعلم أن الله خلق زيداً بشراً خير الناس[٤٣].

ولم تخرج المسائل النحوية التى أوردها أبوحيان عن هذا الإطار التقليدى، ودارت كلها فى حلقة النحاة المعاصرين له والسابقين عليه، ومن تلك المسائل التى سجلها:

- وجوه الرفع[٤٤].
- وجوه النصب[٤٥].
- أنواع الفعل[٤٦].
- نعم وبئس[٤٧].
- علّ وعسى[٤٨].
- حاشا[٤٩].
- معانى الحروف[٥٠].
- زيد أفضل أخوته أو زيد أفضل الأخوة[٥١].
- مراتب الأفعال[٥٢].

ويلاحظ من كتابات أبى حيان تمكنه من النحو وقدرته على فهم قضاياه وتحليلها. ولقد أعطى ذلك كله قوة معنوية للتوحيدى جعلته يشعر بجدارته وتفوقه على الوزراء والأمراء، كما ساعده ذلك أيضا على التصدى لخصومه وإبراز مثالبهم، ومنها قلة درايتهم بالنحو والإعراب، ومن هؤلاء أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابى كاتب الإنشاء ببغداد، وابن العميد، وقد أخذ على الأول قلة معرفته بالنحو، وعاب على الثانى ضعفه فى هذا الجانب[٥٣].

كما أن تلك الدراية الواسعة جعلت البعض يلقبه بالنحوىّ قديماً وحديثاً[٥٤].

٤ ـ النحو والمنطق

وينبع شغف أبى حيان بالمنطق والفلسفة إلى دراسته على أساتذة اشتهروا بهذا اللون من المعارف. ويأتى أستاذه أبو سليمان محمد بن ظاهر بن بهرام المنطقى على رأس هؤلاء الذين أخذ منهم وتأثر بهم؛ حيث كان من المقربين والملازمين[٥٥]. ويؤيد ذلك أن كتاب (المقابسات) يكاد يقتصر ـ فى الجانب الأكبر منه ـ على أحاديث فلسفية، ومناقشات جدلية فى موضوعات تجمع بين المنطق وغيره من علوم.

وأفاد التوحيدى ـ فى شبابه ـ من أساتذة آخرين من أمثال جعفر بن محمد نصر الخلدى أحد أعلام التصوف، ووهب بن بعيش الفيلسوف اليهودى[٥٦]، وثابت بن قرة، ومنهم أيضا أبو بكر القومسى كبير الطبقة فى الفلسفة[٥٧]، ومنهم أيضاً أبو بكر محمد بن القفال الشاشى إمام عصره فيما وراء النهر، وناشر مذهب الشافعية، وكان يقول بالاعتزال، هذا بالإضافة إلى الرمّانى الإمام النحوى العروضى المتكلم ذائع الصيت فى النحو والكلام والمنطق، وأستاذه أبو سعيد السيرافى.

لقد حرص أبو حيان ـ أيضا ـ على الاختلاف إلى مجالس العلماء، والمشاركة فى المناقشات والمناظرات التى تعبر عن اتجاهات مختلفة من فقه وفلسفة ومنطق، ولغة ونحو وغير ذلك من معارف[٥٨]. لذا، لم يكن غريباً أن تكون هذه كلها مكونات علمية شكلت منهجه فى البحث، ووجهته إلى إدراك العلاقات بين هذه العلوم وبعضها البعض، ومن ذلك العلاقة بين النحو والمنطق.

ويظهر أثر ذلك فى أكثر من موضع فى كتابات التوحيدى؛ إذ يذكر ـ فى مدار حديثه عن صعوبة الكلام بالكلام ـ أن النحو شبيه بالمنطق[٥٩]، ويورد آراء أستاذه أبى سليمان الذى يرى أن حصة النحو من اللغة كحصة المنطق من العقل[٦٠]، كما يوجه أبوحيان لأستاذه سؤالاً صريحًا عن العلاقة بين المنطق والنحو، فيقول:

> «قلت لأبى سليمان: إنى أجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبة، ومشابهة قريبة، وعلى ذلك فما الفرق بينهما؟ وهل يتعاونان بالمناسبة؟ وهل يتفاوتان بالقرب به؟»[٦١].

كما حرص التوحيدى على تسجيل المناظرة التى دارت بين السيرافى وأبى بشر متى بن يونس، بل وحفظها عن ظهر قلب[٦٢].

ويرى أبوحيان أن المنطق يؤدى إلى النحو، كما أن النحو يؤدى إلى المنطق، ويقرر صراحة:

«أن البحث عن المنطق قد يرمى بك إلى جانب النحو، والبحث عن النحو يرمى بك إلى جانب المنطق، ولولا أن الكمال غير مستطاع لكان يجب أن يكون المنطقى نحوياً، والنحوى منطقياً، خاصة والنحو واللغة عربية، والمنطق مترجم بها ومفهوم عنها»(٦٣).

ويكشف النص عن تعلق أبى حيان بالمنطق واقتناعه بالعلاقة الفاعلة التى تربط بين العلمين، كما يثبت النص رؤية أبى حيان التكاملية، إذ يشير إلى ما ينبغى أن يكون عليه النحوىّ والمنطقى، فكل منهما بحاجة إلى علم الآخر، كما يعرج إلى بيان خصوصية الرابطة بين النحو والمنطق وهى اللغة العربية.

أما النحو عند أبى سليمان فهو منطق عربى ويعنى به:

«أنه نظر فى كلام العرب يعود بتحصيل ما تألفه وتعتاده، أو تفرقه وتعلل منه، أو تفرقه وتخليه، أو تأباه وتذهب عنه، وتستغنى بغيره»(٦٤).

ويتفق مفهوم أبى سليمان هذا ومفهوم أبى حيان؛ فكلاهما يرى النحو يجمع كل ما يتعلق باللغة من جوانبها المختلفة؛ الصوتية والصرفية والنحوية، كما يتضمن هذا المفهوم وظيفة النحو الذى يتحكم فى بناء الكلام وترتيبه وسلامته من الخطأ، ويبعد عنه النفور، ويحقق التآلف، وينقيه من الشاذ والغريب.

ونستطيع أن نلمح أوجه اتفاق تجمع بين المنطق والنحو، اقتنع بها أبوحيان، فنقلها عن أستاذه أبى سليمان وسجلها فى مقابساته. وتتمثل هذه الأوجه فى أن كلاً من النحو والمنطق آلة أو أداة تحقق السلامة (٦٥) والصحة، وتمييز الصواب والخطأ، كل منهما فى مجاله، كما أن وظيفة كل منهما الترتيب، فالنحو يرتب اللفظ، والمنطق يرتب المعنى.

ومن وظائفهما أيضا تحقيق المعنى، الأول باللفظ والثانى بالعقل(٦٦).

كما أن كلاً منهما يحتاج إلى الآخر، وبذلك يتكاملان؛ فالنحوىّ بحاجة إلى المنطق لأن التقصير فى تحرير المعانى ضار ونقص وانحطاط، كما أن المنطقى بحاجة إلى النحو لأن تقصير تحبير اللفظ ضار ونقص وانحطاط(٦٧).

أمّا أوجه الاختلاف بين النحو والمنطق فتنحصر فى أن الأول يختص بالنظر فى الألفاظ دون الإخلال بالمعانى، ويعنى الثانى بالمعنى(٦٨). ويعتمد النحو على العرف ودليله طباعى، يتبع ما فى طباع العرب وقد يعتريه اختلاف، كما أن النحو شكل سمعى.وأشد التحاماً بالطبع. فشهادة النحو طباعية، والحاجة إلى النحو أكثر من الحاجة إلى المنطق؛ فالنحو أول مباحث الإنسان والمنطق آخر مطالبه.ويعتمد المنطق على العقل، ودليله عقلى، وهو يتبع ما فى غرائز النفس، كما أنه شكل عقلى، ووزن لعيار العقل، وهو يفهم بعض الأغراض، وإن عرى لفظه من النحو، ولا يفهم شئ منها إذا عرى من العقل(٦٩).

وإذا كان حوار أبى حيان مع أبى سليمان المنطقى يعكس رؤية توفيقية بين النحو والمنطق، فإن أبا حيان يخالف تلك الرؤية إلى حد ما فى نقوله التى اختارها من المناظرة التى دارت بين أستاذه اللغوى النحوى أبى سعيد السيرافى وأبى بشر متى بن يونس، وهى مخالفة تتفق مع طبيعة الموقف وطبيعة المجلس الذى دارت فيه المناظرة. فالموقف موقف منافسة وشحذ للعقل والأدلة والبراهين الممكنة لتحقيق الهدف، وإسكات الخصم، وإثبات عدم قدرته على مجاراته، وإقناع الجلوس بصواب ما يعرض من قضايا. أما المجلس، فهو مجلس الوزير ابن الفرات، وفيه مجموعة من العلماء وكبار القوم وبعض الرسل. وقد طلب الوزير من العلماء الحضور من يرد على أبى بشر بن متى، بل إنه تجاوز طلب الرد إلى إعلان رغبته صراحة فى دحض ما يقوله أبوبشر وكسر ما يذهب إليه(٧٠)، وارتقى الوزير برغبته إلى طلب الانتصار؛ حيث يوجه حديثه إلى السيرافى قائلاً:

«عليك الانتصار لنفسك، والانتصار فى نفسك راجع إلى الجماعة بفضلك»(٧١).

ورؤية التوحيدى ـ وفق اختياره واختصاره ـ لها بعدان: الأول يؤكد أن النحو منطق والمنطق نحو؛ حيث ينقل عن أستاذه أبى سعيد السيرافى قوله: «النحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة»[٧٢]. وتنفى تلك المقولة ما يبدو من خلاف بينهما؛ فكلاهما يستمد مادته من اللغة، ويفهم باللغة وبها يدون، وهى العنصر المشترك بينهما.

كما أن كلاً من النحو والمنطق يعتمد على شهادة العقل، فلو أن إنساناً تكلم بلغة سليمة، ولكن كل جملة ناقضت غيرها من الجمل:

«لكان فى جميع هذا محرفاً، ومناقضاً وواضعاً للكلام فى غير حقه، ومستعملاً اللفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره»[٧٣].

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما ذكره السيرافى نفسه:

«ألا ترى أن رجلاً لو قال: نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال بالفحش... إلخ»[٧٤].

أما البعد الثانى، فينتصر للنحو والإعراب، ويرى أنهما جديران وحدهما بمعرفة صحيح الكلام من سقيمه، وأن العقل يميز فاسد المعنى من صالحه[٧٥]، وأن المنطق بحاجة إلى النحو والإعراب وتقسيماتهما[٧٦].

كما يرفض رأى المناطقة القائل بأن المعانى:

«لا تعرف ولا تستوضح إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم»[٧٧].

وينعى على هؤلاء المناطقة ضعفهم ونقصهم اللغوى[٧٨].

ويرفض أيضا ادعاءهم بأن النحوى ينظر فى اللفظ دون المعنى، والمنطقى ينظر فى المعنى دون اللفظ لأنهم هم أنفسهم يعبرون عن أفكارهم باللفظ[٧٩]، فالسيرافى يبين أن الأغراض المعقولة والمعانى المدركة لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف[٨٠]، واختفت الحاجة إلى المنطق، وانمحت وظيفته.

٥ ـ المفردات وعلاقاتها

يتناول هذا الجزء بالدراسة النصوص التى تحمل فى طياتها مسائل ورسائل لغوية تتناول الكلمة المفردة، من حيث الصرف والدلالة والعلاقات السياقية، وتعد هذه النصوص بمثابة تطبيقات تعكس رؤية التوحيدى، وقد قسم هذا الجزء إلى:

ا ـ العلاقات الصرفية.

ب ـ العلاقات الدلالية والمعجم.

جـ العلاقات السياقية.

أ ـ العلاقات الصرفية

لا يخوض أبو حيان بنقوله فى كل المسائل الصرفية؛ حيث يختار مسائل تتناول قضايا صرفية معينة، وهو لا يعرض القضية الصرفية كلها، بل ينتقى جانبا معيناً، وهو فى اختياره وانتقائه يتبع نوعى رؤية خاصة ترى أن الجدير بالعرض يتمثل فى النادر، أو ما كان فيه خلاف لا يعرفه إلا المدقق فى مسائل هذا العلم والعارف بشاذه وغريبه.

والباحث فى مؤلفات أبى حيان يدرك ذلك بوضوح؛ إذ تفاجئه عبارات تعكس هذا الحرص على النادر والغريب، من ذلك تلك العبارة التى يعقب بها على مسألة صرفية: «وهذه أحرف يسيرة جاءت نادرة»[٨١].

ومن تلك المسائل التى عرضها أبوحيان مسألة «مصادر الأفعال التى على وزن أفعل»، فهو يختار من هذه المسألة الأفعال ذات المصادر الثنائية؛ أى ما جاز أن يكون لها مصدران. وهذه الأفعال هى: أغار، أجاب، أعار، أطاف، أطاع. وهو يورد مصادرها مقرونة بمن أخذ المسألة عنه فيقول:

«قال يعقوب... أغرت على العدو إغارة وغارة، ومثلها أجبته: إجابة وجابة، وأعرته إعارة وعارة، وأطفته إطافة وطافة، وأطعته إطاعة وطاعة»[٨٢].

ويعرض التوحيدى لمسألة صرفية دقيقة ينقلها عن السيرافى تجمع بين قضيتين؛ الأولى ما ينصرف وما لا ينصرف من الأسماء، والثانية التصغير؛ حيث تتناول المسألة الأسماء المصروفة التى إذا صغرت منعت من الصرف، والأسماء غير المصروفة التى إذا صغرت صرفت، ومالا ينصرف من الأسماء فى مصغره ومكبره (٨٣).

ويورد أبوحيان نص إجابة للسيرافى عن سؤال وجهه ـ هو ـ إليه يدور حول كلمة «الطبيعة» هل هى اسم مشتق أم اسم جامد، وإذا كانت اسمًا مشتقًا فهل هى «فعيلة» بمعنى فاعلة أو بمعنى «مفعولة»(٨٤). وتحمل هذه المسألة فى جانب من جوانبها أهمية مراعاة العلاقة بين الصيغة الصرفية والمعنى، كما تظهر فيها رؤية السيرافى اللغوية العميقة لأهمية التفاعل بين الصيغة والمعنى؛ حيث إن الصيغ ليست قوالب جامدة، فالصيغة الصرفية الواحدة تصاحبها معان متعددة تستمد من القرائن اللغوية من ناحية، وما تصطلح عليه الجماعة اللغوية من ناحية أخرى، كما تعكس المسألة أيضا شغف التوحيدى بمثل هذه المسائل وحرصه على تسجيلها فى كتبه.

ويقرر السيرافى ـ فى إجابته ـ أن كلمة «الطبيعة»:

> «إنما هى من قبيل الأسماء المحضة، لا من قبيل الأسماء المشوبة، فلا يقال لذلك إنه فعيل بمعنى فاعل، كقدير بمعنى قادر. ولا يقال إنه فعيل بمعنى مفعول كذبيح بمعنى مذبوح. ولكن يقال هو فعل فى أصله كجبير وأثير، ومع هذا فمعنى الفعل به أقرب من معنى الفعل منه... إلخ»(٨٥).

ويبرز هذا النص منهج السيرافى فى معالجة الصيغ، فهو لم يكتف بالنظر فى الوزن والصيغة وحدهما، بل قابلهما بغيرهما من أوزان وصيغ ثم ربطهما بدلالاتهما المتعددة. وهو لا يتوقف عند هذا الحد فى القياس، بل يبحث فيما تستخدمه الجماعة اللغوية وتصطلح عليه من صيغ ومعان، ثم يقر بعد ذلك الإجابة التى تجمع بين القياس واستخدام الجماعة اللغوية لها. وهو نهج بز السيرافى به قرناءه.

ويكشف النص أيضًا إعجاب التوحيدى بأستاذه وبمنهجه فى معالجة المسائل الصرفية وغيرها من المسائل، وذلك يبدو من حرصه على تسجيل خطوات أستاذه بدقة للوصول إلى الإجابة المطلوبة.

ب ـ العلاقات الدلالية والمعجم

تحوى كتابات التوحيدى نصوصًا لغوية كثيرة تتعلق باللفظة المفردة من حيث العلاقات الدلالية والمعجم. وعلى الرغم من أن هذه الكثرة قد لفتت أنظار الباحثين القدماء والمحدثين لجهود التوحيدى اللغوية، مما دفعهم إلى تلقيبه باللغوى فإنهم لم يدرسوا منهجه فى عرض هذه النصوص، ولم يصنفوها وفق مجالاتها اللغوية.

ويلاحظ على تلك النصوص أنها تتنوع من حيث الكثرة؛ فمنها ما يتناول عرض معانى كلمة واحدة أوكلمتين، ومنها ما يحوى مادة لغوية تشغل صفحة أو صفحات عدة، وهى تعد بمثابة رسائل لغوية، تكشف عن التمكن والأداء اللغويين اللذين يتمتع بهما التوحيدى، كما تبرز قوة حافظته.

لذا، اقتضت الضرورة تقسيم هذا الجزء على قسمين: الأول يتناول الأسماء المفردة، وفيه نعرض لمنهجه، ثم تصنيفها وفق العلاقات الدلالية. والثانى: يتناول الرسائل اللغوية ـ النصوص التى تحمل مواد لغوية كثيرة ـ ونعرض فيه أيضًا لمنهجه فيها، ولتصنيفها، ونبرز أهم سماتها.

أولاً: الكلمات المفردة

يورد أبوحيان الكلمات ومعانيها، وفق رؤية لغوية متعددة الجوانب، تتضح فيما يلى:

١ ـ إيراد الكلمة مع اختيار المعنى الغريب أوغير الشائع الذى لا يتنبه له، وذلك من مثل:

ـ فاد يفيد فيداً وفيوداً إذا مات(٨٦).

ـ الغطاط: أول الصبح(٨٧).

ـ الهبول: الثكول (٨٨).

٢ ـ إيراد الكلمات المتفقة الحروف المختلفة الحركات المأخوذة من جذر واحد مع بيان ما بينها من فروق فى المعنى من مثل:

سَتْر ـ سِتْر[٨٩].

الحِصان ـ الحَصان[٩٠].

٣ ـ إيراد الكلمات الغريبة مع بيان معانيها، من مثل:

ـ الخطيطة: أرض لم يصبها مطر بين أرض مطرت[٩١].

ـ الشاكد: المعطى من غير مكافأة[٩٢].

ـ الأَحْظَنْباء: الغضب[٩٣].

٤ ـ إيراد الكلمة الواحدة مع ذكر تنوع صيغها الصرفية ومعانيها من مثل:

ـ خلا: يقال فى اللغة خلا العهد إذا انقضى، وخلا بعيره يخليه إذا علفه الخلى وهو الرطب.

.... وقد أخليته الأرض إذا أبحته خلاها... وخليته: أرسلته... وفلان خال مال، وخايل مالٍ إذا كان حسن القيام عليه[٩٤].

ـ مصمع: يقال جاء بثريدة مصمعة إذا دققها وأحد رأسها، ومنه سميت الصومعة، وحرب صمعاء أى شديدة[٩٥].

٥ ـ تصويب لفظ شاع استخدامه الخطأ من مثل: العنة (العنين بيِّن التعنين، واجتنب قول الفقهاء بين العنة فإنه كلام مرذول)[٩٦].

ويعد هذا النوع الأخير امتداداً لما عرف فى النصف الثانى من القرن الثانى، من الاهتمام بتأليف الكتب اللغوية الهادفة إلى تعليم الفصحى، والابتعاد عن التأثيرات العامية فى الاستخدام اللغوى[٩٧].

العلاقات الدلالية

وتنتظم هذه الكلمات فى علاقات دلالية عدة، وقد كان أبوحيان على وعى بها؛ حيث أدرك بحسه اللغوى أهمية النظر فى تنوع العلاقات الدلالية بين المفردات فى إطار اللغة الواحدة. ومن هذه العلاقات: تعدد المعنى ـ المشترك اللفظى ـ الأضداد.

تعدد المعنى

تعنى هذه العلاقة دلالة اللفظ الواحد على معنيين أو أكثر[٩٨].

ومن الأمثلة على ذلك:

ـ عتيق:

العتيق يقال على وجهين فأحدهما يشار به إلى الكرم والحسن والعظمة، وهذا موجود فى قول العرب (البيت العتيق)، والآخر يشار به إلى قدم من الزمان المجهول. فأما قولهم (عبد عتيق) فهو داخل فى المعنى الأول، لأنه أكرم بالعتق، وارتفع عن العبودية فهو كريم، وكذلك (وجه عتيق) لأنه أعتقته الطبيعة من الدمامة والقبح، وكذلك (فرس عتيق)[٩٩].

ـ العِشر:

ضرب من الشجر والإبل تبقى تسعة أيام لا تسقى، ثم ترد اليوم العاشر[١٠٠].

ـ خَلَق:

أما قولهم (هذا شئ خلَق) فهو مضمن معنيين أحدهما يشار به إلى أن مادته بالية. والآخر أن نهاية زمانه قريبة[١٠١].

وتبين هذه النصوص أن أبا حيان ومن نقل عنهم كانوا على وعى بأن تعدد السياقات أو المواقف من جانب والاستعمال المجازى من جانب آخر، يعدان من الطرق المهمة لتعدد المعنى.

المشترك اللفظى

ويطلق هذا المصطلح على الكلمتين اللتين تتفقان فى الناحية الصوتية وتختلفان فى المعنى؛ إذ لا يوجد رابطة بين المعنيين من ناحية، ويعد لهما مدخلان فى المعجم(١٠٢).

ومن الأمثلة التى أوردها التوحيدى للدلالة على ذلك:

ـ آم:

يقال آم الرجل يؤوم أُوَاما من العطش، وآم الرجل يئيم إذا بقى بغير حليلة (١٠٣).

ـ سور:

طعام الوليمة، وهى فارسية وبمعنى خندق(١٠٤).

الأضداد

ويعنى هذا المصطلح أن تدل الكلمة على المعنى وضده، ومن الأمثلة التى وردت فى كتابات التوحيدى:

عروب: المتحببة إلى زوجها ـ وهى الفاسدة:

«على ما حدثنا به أبو سعيد وابن السراج أنه من الأضداد. وهى المتحببة إلى زوجها وهى الفاسدة، مأخوذ من قولهم عربت معدته: إذا فسدت»(١٠٥).

منخاب:

يمدح به ويذم، فإذا كان مدحًا فهو مأخوذ من النخب، وهو الاختيار.وإذا كان ذمًا فهو مأخوذ من النَّخبة وهى الأست(١٠٦).

منجاب:

إذا كان مدحًا فهو مأخوذ من الانتخاب وهو الاختيار.

وإذا كان ذمًا فهو مأخوذ من النخب وهو قشر الشجر(١٠٧).

ثانيا: الرسائل اللغوية

يعنى هذا القسم بدراسة نصوص تعد رسائل لغوية، تدخل فى إطار الجهد المعجمى(١٠٨)، وتخضع هذه الرسائل لرؤية أبى حيان ومنهجه الذى يقوم على الانتقاء والاختيار من المادة اللغوية المتاحة من ناحية، وعلى اختيار المعيار الذى يقوم بتصنيف هذه المادة من ناحية أخرى.

ويعد أبوحيان التوحيدى إحدى حلقات الجمع المعجمى التى شاعت فى القرن الرابع الهجرى؛ إذ عرف هذا القرن عددًا كبيرًا من اللغويين الذين أخرجوا لنا معاجم لغوية تمثل اتجاهات مختلفة فى التأليف المعجمى.

ـ وتمثل كتب (البارع) للقالى [ت ٣٥٦ هـ] ، و (تهذيب اللغة) للأزهرى [ت ٣٧٠ هـ] ـ و (المحيط) للصاحب ابن عباد [ت ٣٨٥هـ] معاجم الترتيب الصوتى.

ـ بينما يعد المؤلفان التاليان من معاجم الترتيب الهجائى وهما: (ديوان الأدب) للفارابى [ت ٣٥٠هـ]، (الصحاح) للجوهرى [ت ٣٩٣هـ].

ـ أما المعاجم الموضوعية فيمثلها كتابا (جواهر الألفاظ) لقدامة بن جعفر [ت ٣٣٧هـ]، و (تخير الألفاظ) لأحمد ابن فارس [ت ٣٩٣هـ].

ـ أما من ألفوا فى الأبنية الصرفية فهم:

الزجاج [ت ٣١١هـ]، الأنبارى [ت ٣٢٨هـ]، التسترى [ت ٣٦٠هـ]، ابن القوطية [٣٦٧هـ]، ابن جنى [ت ٣٩٢هـ]، ابن فارس [ت ٣٩٥هـ] (١٠٩).

وقد اختار أبوحيان نصوصًا تندرج تحت نوعين من الرسائل المعجمية:

ـ رسائل الأبنية الصرفية:

وهى تتناول الألفاظ فى إطار الوزن الصرفى، ومن هذه الرسائل ما هو خاص بالمثنى، وبالتذكير والتأنيث. وقد بلغ عددها تسع رسائل.

ـ الرسائل الموضوعية:

وهى تعنى بعرض الألفاظ وفق موضوعاتها، وقد بلغ عددها سبع رسائل.

رسائل الأبنية الصرفية:

توزعت هذه الرسائل على ثلاث مجموعات، الأولى خاصة بالوزن الصرفى، وتمثلها الرسائل التالية:

١ ـ ما ورد على وزن فَعيل [١١٠].

٢ ـ ما ورد على وزن فَعْل [١١١].

٣ ـ ما ورد على وزن فَعَل [١١٢].

٤ ـ ما ورد على وزن فَعِل [١١٣].

٥ ـ ما ورد على وزن تَفعال [١١٤].

٦ ـ ما ورد على وزن فعائل [١١٥].

٧ ـ ما ورد على وزن فعالل [١١٦].

المجموعة الثانية: رسائل خاصة بالمذكر والمؤنث: وقد ورد فيها رسالة واحدة تدور حول ما يجوز فيه التذكير والتأنيث [١١٧].

المجموعة الثالثة: رسائل خاصة بالمثنى: وتمثلها رسالة واحدة تتعلق بالألفاظ الدالة على المثنيات [١١٨].

الرسائل الموضوعية

وتتوزع هذه الرسائل على أربعة موضوعات:

الأول: يتعلق بالحيوان ويضم ثلاث رسائل فى:

١ ـ الألفاظ الدالة على شيات الخيل وألوانها [١١٩].

٢ ـ الألفاظ الدالة على ألوان الذئب والضبع [١٢٠].

٣ ـ الألفاظ الدالة على أعداد الإبل [١٢١].

ـ أما الموضوع الثانى، فيتعلق بالإنسان، وقد وردت فيه رسالة واحدة فى الألفاظ الدالة على مراحل عمر الإنسان، وألوانه، وصفاته، وأعضاء جسمه [١٢٢].

ـ ويمثل الموضوع الثالث رسالة فى الألفاظ الدالة على أقسام الجيش [١٢٣].

ـ والموضوع الرابع تمثله رسالة فى الألفاظ الدالة على الجهات الأربع [١٢٤].

وتعكس هذه الرسائل وعى التوحيدى الذى يعد مرآة للجهود اللغوية فى عصره، ووعى من نقل عنهم بفكرة المجال الدلالى. كما تبرز فهمهم تراث القدماء السابقين عليهم؛ حيث بدأ هذا الجهد منذ القرن الثانى الهجرى، فالأصمعى قد ألف فى خلق الخيل، والإبل، والنبات [١٢٥]، كما أن أبا عبيدة معمر بن المثنى، وابن الكلبى، وابن الأعرابى، والأنبارى، والزجاج كانوا جميعهم من أوائل مؤلفى الخيل [١٢٦].

جـ ـ العلاقات السياقية

يورد أبوحيان بعض الكلمات التى يتتابع بعضها إثر الأخرى، وهى فى تآلفها وتتابعها تنشئ علاقات سياقية، ويلاحظ أن التركيب بهذا الاعتبار يتآلف دائماً من عنصرين أو أكثر، وتنشى تلك التراكيب بفهم أبى حيان ـ وهو يبحث عن المعنى ـ ومن نقل عنهم أن تفاعل الكلمات بعضها مع بعض، وتتابعها وفق علاقات سياقية معينة يعطيها المعنى، ويكسبها الخصوصية، ويزيل الغموض والإبهام.

ومما لاشك فيه أنهم قد أدركوا أيضًا أن النظر إلى الكلمات المفردة دون النظر إلى سياقاتها يفقدها المعنى الخاص الذى تتمتع به فى إطار تراكيب سياقية معينة، حرص التوحيدى على تلمسها وتسجيلها.

ويلاحظ أن العلاقات السياقية فيما ورد من نصوص التوحيدى قد توزعت فى الأنماط التالية: التضام، وارتباط كلمتين أو أكثر فى علاقات سياقية، والتراكيب الثابتة.

ـ التضام

تحددت دلالة المصطلح فى الإشارة إلى اقتران مواد معجمية مفردة بغيرها، ويستخدم من جانب بعض اللغويين للإشارة إلى الظهور المشترك لتلك المواد المعجمية.

فالتضام نوع من العلاقات المعجمية التركيبية؛ حيث ترتبط أكثر من كلمة فى علاقة تركيبية معناها مفهوم من الكلمات التى تكونها [١٢٧].

ومن الملاحظ أن أباحيان ـ كعهده فى كل نصوصه ـ يختار تراكيبه اختياراً، فمنها ما كان غريبًا ولكنه يتميز بالتجانس الصوتى والوزن من مثل:

عكٌّ ألكٌّ، فيقال يوم عك ألك: إذا كان شديد الحرارة، وليلة عكٌّ.

ومنها ما كان معروفًا، يأتى به لتصويب فهمه من مثل: «إنه لكثير فضيض الكلام». يقول أبو حيان:

«قلت لأبى سعيد السيرافى شيخ الدنيا قال أبو زيد: يقال إنه لكثير فضيض الكلام. أيراد بهذا مدح المذكور أم الزراية عليه؟ فقال لى: هو إلى الزراية أقرب، لأن الفض كسر، ومنه: فضضت ختم الكتاب، ومنه: ضربه فصار فضاضا؛ والصحيح خير من المكسور، وكأنه يراد بهذا أنه يرمى بالكلام مكسراً غير صحيح»[١٢٨].

فدقة أبى حيان اللغوية دفعته إلى عدم الاطمئنان لما يشاع على الألسن، ويظهر ذلك فى قوله: «قال أبوزيد: يقال». وعلى الرغم من أننا لا نشك فى أن أباحيان كان بمكنته تعرف حقيقة التركيب، فنحن نرى أنه أراد أن يثبت كل دليل ممكن يؤكد صواب رأيه، فتوجه بسؤاله إلى أستاذه السيرافى، ويبدو أن أباحيان أراد أن ينفى ـ من ناحية أخرى ـ عن ابن عباد سلامة اللغة ونقاء الأسلوب؛ حيث يذكر التوحيدى بعد ذلك أنه ما سأل السيرافى إلا «لأنه سأل مرة أبا السلم عن ابن عباد، فقال إنه لكثير فضيض الكلام، ثم مرّ بى لأبى زيد»[١٢٩]، وهو سعيد بن أوس الأنصارى اللغوى.

ومن ذلك أيضاً:

وجع مخيف: يقال وجع مخيف إذا كان الناظر يخافه على صاحبه، أو يخاف منه على نفسه. هكذا قال العلماء، منهم يعقوب والفراء[١٣٠].

ارتباط كلمتين أو أكثر فى علاقات سياقية

يعد هذا النوع من التراكيب من أنواع التضام أو التلازم، وهو يعنى أن يستلزم أحد العنصرين الآخر[١٣١]. ومن أهم الأنماط التى وردت فى: كتاب التوحيدى علاقة الفعل بالمفعول من مثل:

أنشب + أظفاره[١٣٢].

شمّت + العاطس[١٣٣].

وعلاقة الفعل بحرف الجر من مثل:

تعريج + على

تعويج + على[١٣٤].

التراكيب الثابتة:

يشير هذا المصطلح إلى مجموعة من الكلمات التى لها محتوى خاص، أو التعبيرات التى تتضمن نوعًا خاصًا من التضام، ويتميز هذا النوع من التعبيرات بعدم القدرة على تحديد معناها وفق أى من مكوناتها، فمعناها يفهم من مجموع مكوناتها[١٣٥].

ومن الأمثلة التى وردت عند أبى حيان ما يلى:

ـ حيص بيص: يقال تركتهم فى حيص بيص، ذا تركتهم فى ضيق[١٣٦].

ـ شكس نكس: يقال إنه تشكس تكس للدلالة على أنه عسر[١٣٧].

ـ سملع هملع: يقال للخبّ الخبيث إنه لسمّلع هملع[١٣٨].

ومن الملاحظ أن أباحيان يختار الغريب، ولكنها تراكيب تتميز بالتناسق الصوتى الذى يحرص عليه التوحيدى حرصًا بالغًا، مما أكسب تلك المواد سلاسة بالرغم من غرابتها، وقد زاد ذلك التناسق مراعاة الوزن الصرفى، فزادت التراكيب رونقًا لا يحس القارئ معها بجفوة أو جفاء.

الهوامش

(١) أبوحيان التوحيدى: **الإمتاع والمؤانسة** ـ تحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين ـ المكتبة العصرية، بيروت د . ت، جـ٢، ص١ .

المقابسات، تحقيق وشرح: حسن السندوبى – المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٩٢٩، ص ٣٠٨ .

البصائر والذخائر، تحقيق: إبراهيم الكيلانى، دمشق ـ د . ت ص٣ ـ ص٨.

(٢) انظر: إبراهيم الكيلانى: **أبوحيان التوحيدى**، دار المنارة بيروت د . ت، ص ٧٥ـ / ص ٧٦ .

أبو حيان التوحيدى: **الهوامل والشوامل**، تحقيق: أحمد أمين والسيد أحمد صقر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١م، مقدمة الكتاب ص (و).

ـ أحمد محمد الحوفى: **أبوحيان التوحيدى**، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٥٧م ص ٣٤ ـ ص ٣٧.

ـ السيوطى: **بغية الوعاة فى طبقات النحاة**، القاهرة ١٢٢٦هـ ترجمة: أبى حيان.

ـ عبد الرزاق محيى الدين: **أبوحيان التوحيدى**، مطبعة السعادة، مصر ١٩٤٩م ص ١٢٧ـ / ص ١٣٧ .

ـ عبدالواحد حسن الشيخ: **أبوحيان التوحيدى وجهوده الأدبية والفنية**، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بالأسكندرية ١٩٨٠م ،ص ١٤٨ ـ ص ٢٦٦ .

ـ محمد عبدالغنى الشيخ: **أبوحيان التوحيدى: رأيه فى الإعجاز وأثره فى الأدب والنقد**، الدار العربية للكتاب، بيروت ١٩٨٣م، ص ٣٣٦ ـ ص ٣٥٥ .

Marc Bergé: Pour un Humanisme Vécu Abu Hayyan Al - Tawhidi. Damas 1979. p. 363-370.

ـ ياقوت الرومى: **معجم الأدباء**، ط دار المأمون، القاهرة ١٩٣٦م جـ ١٥، ص ٥ .

(٣) ورد هذا التعريف ضمن المقابسة (٩١)، وهو يعكس خلاصة فكره الذى حصله من غيره من العلماء، ولم يشر فى هذه المقابسة عمن أخذ منه هذا التعريف، راجع: **المقابسات** ص ٣٠٩ ـ ص ٣١٠.

(٤) (الكلام) مصطلح يعنى به التوحيدى هنا (اللغة)، لذا فإن حد الكلام هو نفسه حد اللغة عنده.

(٥) **المقابسات**: ص ٣٠٩.

(٦) نايف خرما: **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٧٨م، ص ١٤٤ .

(٧) محمود فهمى حجازى: **مدخل إلى علم اللغة**، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٨م، ص ١٠ .

(٨) ابن جنى: **الخصائص**، تحقيق: محمد على النجار، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م جـ١، ص ٣٤.

(٩) **المقابسات**: ص ٣١٠.

(١٠) انظر: إبراهيم أنيس: **الأصوات اللغوية**، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٠م، ص ٨ وما بعدها.

محمود فهمى حجازى: **مدخل إلى علم اللغة**، ص ٣٧.

برتيل مالمبرج: **علم الأصوات**، ترجمة: عبدالصبور شاهين، مكتبة الشباب ١٩٨٦م، ص ٣٧ وما بعدها.

برتيل بالبرج **علم الأصوات**، ترجمة: محمد حلمى هليل، المنظمة العربية للتربية، الخرطوم ١٩٨٥م، ص ٤٥ وما بعدها.

(١١) **المقابسات**، ص ٣١٠.

(١٢) كندراتوف: **الأصوات والإشارات**، ترجمة: شوقى جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م، ص ١٧٨ .

(١٣) المرجع السابق، ص ١٨٠ .

(١٤) نايف خرما: **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، ص ص ١٤٩ ـ ١٥٠ .

(١٥) **المقابسات**: ص ٣١٠.

(١٦) **الإمتاع والمؤانسة**، جـ ١، ص ١١١ .

(١٧) السابق، الصفحة نفسها.

(١٨) **المقابسات**، ص ١٤٥ .

(١٩) المصدر السابق، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ـ ١٥٣ ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧١ .

(٢٠) **البصائر**، جـ ١، ص ٢٠٧.

(٢١) إبراهيم أنيس: **دلالة الألفاظ**، الأنجلو ط ٥، ١٩٨٤م ص ص ٦٢ ـ ٦٣

(٢٢) المرجع السابق، ص ٦٤ .

(٢٣) **البصائر والذخائر**، جـ ٣، ص ٩٢.

(٢٤) **المقابسات**، ص ١٤٥ .

(٢٥) F.R.Palmer: Semantics. Second Edition, Cambridge University press 1983,p.24.

انظر أيضاً: ترجمة صبرى إبراهيم السيد لهذا الكتاب، ص ص ٤٦ ـ ٤٧. بالمر: **علم الدلالة**، دار قطرى بن الفجاءة، الدوحة ١٩٨٦م.

(٢٦) انظر على سبيل المثال:

ـ الإمتاع جـ ١، ص ١٠٦.
ـ البصائر جـ ٢، ص ٢١٤ ـ ص ٢١٥.
ـ المقابسات ،ص ١٧٠ ـ ص ١٧١ ـ ص ١٧٢.
(٢٧) المقابسات، ص ١٤٥.
(٢٨) Keith Allan: **Linguistic Meaning.** Routledge & Kegan paul 1986, VI - p.36
(٢٩) Stephen Ullman: **Semantics.** Oxford 1972, p.32 - 48
(٣٠) الإمتاع، جـ ١، ص ١٠٦.
(٣١) السابق جـ ١، ص ١٠٦.
(٣٢) نفسه جـ ١، ص ١٠٢.
(٣٣) البصائر، جـ ٢، ص ٩٨.
(٣٤) المصدر السابق جـ ١، ص ٢١٤ ـ ٢١٥.
(٣٥) نفسه جـ ١، ص ٢١٥.
(٣٦) نفسه، جـ ٢، ص ١٥٠.
(٣٧) نفسه. جـ ١، ص ٢١٦.
(٣٨) نفسه، جـ ١، ص ٢١٥.
(٣٩) نفسه، جـ ٢، ص ٩٧.
(٤٠) الإمتاع ،جـ ١، ص ١٢١.
(٤١) البصائر، جـ ١، ص ٢٠٨.
(٤٢) السابق، جـ ١، ص ٢٠٧ ـ ص ٢٠٨.
(٤٣) نفسه جـ ١، ص ٢٨٩.
(٤٤) نفسه، جـ ١، ص ٢٢١.
(٤٥) نفسه،جـ ١، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.
(٤٦) نفسه، جـ ١، ص ٢٨٩.
(٤٧) نفسه، جـ ١، ٣٤٨.
(٤٨) نفسه، جـ ٣، ص ١٧٢ ص ١٧٣.
(٤٩) نفسه، جـ ٣ ،ص ٢٤٨ ـ ص ٢٥١.
(٥٠) الإمتاع، جـ ١، ص ١١٧ ـ ١١٨.
(٥١) السابق، جـ ١، ص ١٢٠ ص ١٢١ ـ البصائر، جـ ٣، ص ٢٥٩.
(٥٢) المقابسات، ص ١٧٥ ـ ص ١٧٦.
(٥٣) الإمتاع، جـ ١، ص ٦٧.
(٥٤) سبقت الإشارة إلى بعض هذه المراجع، راجع هامش (٢).
(٥٥) عبدالواحد حسن: أبوحيان التوحيدى، ص١١٢ وما بعدها.
محمد عبدالغنى الشيخ: أبوحيان التوحيدى، جـ ١، ص ١٨٤ وما بعدها.
(٥٦) السابق : ص ١٩٢ ـ ص ١٩٣.
(٥٧) المقابسات: من ٢٦٢ ـ، ص ١٤٤.
(٥٨) راجع ـ عبد الرزاق محيى الدين: أبوحيان التوحيدى، ص ١٢٣ وما بعدها
محمد عبدالغنى الشيخ: أبوحيان التوحيدى، ص ١٨٤ وما بعدها
عبدالواحد حسن الشيخ: أبوحيان التوحيدى، ١٣٩ وما بعدها.
أحمد محمد الحوفى: أبوحيان التوحيدى، ص ٣٠ ـ ص ٣٥.
Marc Bergé . **Pour un Humanise Vécu: Abú Hayyan Al-Tawhidi.** P.92-99.
(٥٩) الإمتاع، جـ ٢، ص ١٣١.
(٦٠) المقابسات ص ٢٩٤.
(٦١) السابق.: ١٦٩.

(٦٢) الإمتاع، ص ١٠٧ ـ ص ١١٢.
أخلاق الوزيرين ص٤١٤ ـ ص ٤١٥.
(٦٣) المقابسات، ص ١٧٧.
(٦٤) السابق، ص ١٧٠.
(٦٥) نفسه، ص ١٧٠ ـ ص ١٧١.
(٦٦) نفسه، ص ١٧٢.
(٦٧) نفسه، ص ١٧٠.
(٦٨) نفسه، ص ١٧٠.
(٦٩) نفسه، ص ١٧١ ـ ص ١٧٢.
(٧٠) الإمتاع، جـ ١ ،ص ١٠٨.
(٧١) السابق، جـ ١، ص ١٠٩.
(٧٢) يذكر أبوحيان أنه اختصرها، ولكن الوزير ابن سعدان يذكر أنه كتب المناظرة على التمام. راجع. الإمتاع جـ ١. ص ١٠٧. ص ١٠٨.
(٧٣) الإمتاع، جـ ١، ص ١١٤ ـ ص ١١٥.
(٧٤) السابق، ص ١١٤.
(٧٥) نفسه، ص ١٠٩.
(٧٦) نفسه، ص ١١٥.
(٧٧) نفسه، ص ١٢١.
(٧٨) نفسه، ص ١٢١.
(٧٩) نفسه، ص ١١٩ ـ ص ١٢١.
(٨٠) نفسه، ص ١٠٩.
(٨١) البصائر، جـ٢، ص ٣١٦.
(٨٢) السابق، ص ٩٠.
(٨٣) نفسه، ص ١٥٩.
(٨٤)هذا السؤال وجهه أبوسليمان المنطقي لأبي حيان، وهو عن الطبيعة وكيف هي عند أهل النحو واللغة؟ أهي فعيلة بمعنى فاعلة أم بمعنى مفعولة. المقابسات، ص١٧٤.
(٨٥) المقابسات، ص ١٧٥.
(٨٦) البصائر، جـ ١، ص ٢٤.
(٨٧) السابق، ص ٢٤.
(٨٨) نفسه، جـ ٢، ص ٢٤٦.
(٨٩) نفسه، جـ ١، ص ٢٨٨.
(٩٠) نفسه، ص ٢٤.
(٩١) نفسه، جـ ٢، ص ٢٣٣.
(٩٢) نفسه، ص ١٩٢.
(٩٣) نفسه، جـ ٣، ص ١٩٧.
(٩٤) نفسه، جـ ١، ص ٣٤٩.
(٩٥) نفسه، جـ٢، ص ٢٤٧.
(٩٦) السابق جـ١، ص ٢٤.
(٩٧) محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص ١١٥.
(٩٨) محمود فهمي حجازي: علم الدلالة، ص ١٧٠.
ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، ص ١١٥ ص ١١٦.
(٩٩) الإمتاع والمؤانسة، جـ ١، ص ٢٤.
(١٠٠) البصائر، جـ ٢، ص ٧٧.
(١٠١) الإمتاع، جـ ١، ص ٢٤.

(١٠٢) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، ص ٢١٤.
محمود فهمي حجازي: علم الدلالة، ص ١٨١.
نصر الدين صالح: التحليل الدلالي، ط جامعة القاهرة ١٩٩١م، ص ٩٧.
ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ص ١١٤.
(١٠٣) الإمتاع، جـ ٢، ص ١٩٤.
(١٠٤) السابق، جـ ٣، ص ٨٣.
(١٠٥) نفسه، جـ ٢، ص ١٩٧.
(١٠٦) نفسه، ص ١٩٧.
(١٠٧) نفسه، ص ١٩٧.
(١٠٨) تعد هذه النصوص استكمالاً لما أورده أبوحيان من ألفاظ مفردة.
(١٠٩) راجع: محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، ص ٩٧ وما بعدها.
(١١٠) البصائر، جـ ٣، من ص ١٢٨ إلى ص ١٤٥.
(١١١) السابق، جـ ٣، من ص ١٦٤ إلى ص ١٦٧.
(١١٢) نفسه، من ١٦٨ إلى ص ١٧١.
(١١٣) نفسه، جـ ١، ص ٢٢٢ ـ ص ٢٢٣.
(١١٤) الإمتاع، جـ ٢، ص ٣١٢.
(١١٥) البصائر، جـ ٣، من ص ٨٥ ـ إلى ص ٩٢.
(١١٦) السابق، جـ ٢، ص ٣١٦.
(١١٧) البصائر جـ ٢، من ص ١٤٢ إلى ص ١٤٤.
(١١٨) المصدر السابق، من ص ٢٧٣ إلى ص ٢٧٥.
(١١٩) نفسه، جـ ٢، من ص ٤٤ إلى ص ٤٧.
(١٢٠) نفسه، ص ٢١٦.
(١٢١) الإمتاع، جـ ٢، ص ١٩٣.
(١٢٢) البصائر، جـ ٢، من ص ٢٠٨ إلى ص ٢١١.
(١٢٣) البصائر، جـ ٢، ص ٨١.
(١٢٤) السابق، ص ٢٢٢.
(١٢٥) محمود فهمي حجازي مدخل إلى علم اللغة، ص ٧٦ ـ ص ٧٧.
(١٢٦) راجع بحثنا: أسماء الخيل، دراسة في البنية اللغوية مجلة جمعية دار العلوم.
راجع أيضاً: حسين نصار: المعجم العربي، جـ ١، ص ١٢٥، ص ١٢٦.
(١٢٧) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢١، ص ٢١٦، ص ٢٣٩، ص ٣٣١.

David Crystal: First Dictionary of linguistic and phonetics p. 68 - 69.

(١٢٨) أخلاق الوزيرين، ص ٢٤٨.
(١٢٩) السابق الصفحة نفسها.
(١٣٠) البصائر، جـ ٣، ص ٨٥.
(١٣١) محمود فهمي حجازي: المعجمات الحديثة، ص ٦٧. تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٢١٧.
(١٣٢) البصائر، جـ ٢، ص ٢٤٦.
(١٣٣) السابق، جـ ١، ص ٢٣.
(١٣٤) نفسه، جـ ٢، ص ٩.

Hartmann and Stork: Dictionary of language and linguistics. p106.

(١٣٥)
(١٣٦) البصائر جـ ٢، ص ٩٠، ص ٩١.
(١٣٧) السابق، ص ٧٤.
(١٣٨) نفسه، ص ٧٥.